بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

في اثناء بحثي عن البقية الباقية من نفائس المخطوطات في مدينة حلب عثرت عند صديقي الأديب الفاضل الشيخ بهاء الدين الترمانيني مدير دائرة النفوس على كتاب الأفصاح عن معاني الصحاح لعالم الوزراء عون الدين ابي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ وبعد ان اجلت النظر في عدة ابواب منه وجدته كتاباً حافلاً اجاد مؤلفه تأليفه واحسن ترتيبه جمع فيه اهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه من الفروع بين المذاهب الأربعة التي عول جمهور المسلمين على العمل بها من صدر الأسلام الى يومنا هذا بحيث يغنيك في مدة وجيزة عن مطالعة الأسفار الضخمة في كل مذهب للوقوف على ذلك .

في اواخر القرن الماضي وضعت الدولة العثمانية كتاب مجلة الأحكام العدلية في المعاملات واخذ واضعوها بأقوال لم يذهب اليها الأمام الأعظم ابو حنيفة رضي الله عنه بل هي مما ذهب اليه اصحابه وكانت تعد ضعيفة في هذا المذهب غير ان اللجنة رأت ان المصلحة اليوم بالأخذ بتلك الأقوال فأخذت بها وصدر الأمر السلطاني للبلاد العثمانية كافة بالعمل بها وهكذا كان .

غير ان المجلة جاءت ضيقة لا تفي بحاجات الناس والحوادث الواقعة فلم يستغن بها القضاة والحكام عن التطلع الى ما وراء ذلك والرجوع الى الكتب الفقهية التي بسطت فيها الحوادث والنصوص وما اعجز الكثير من هؤلاء عن الكشف عن النصوص من اماكنها وتفهمها لعدم معاناتهم لها وا كتفاءهم من علم الفقه

وهو ذلك العلم الواسع والبحر المتلاطم الأمواج بما يقرؤونه في مكاتب الحقوق وهم لا يقرؤن ثمة الا النزر اليسير ويكتفون بما حوته المجلة وقل منهم من يمكف بعد ذلك على الكتب الفقهية لتوسيع علمه والوقوف على دقائق هذا الفن الذي لا يدرك ساحله ثاقب الذهن الا بعد العناء وصرف الوقت الطويل .

فلم تزل الحاجة ماسة الي وضع كتاب واسع في الفقه شامل لجميع ابوابه . وانتشرت من اوائل هذا القرن فكرة التوسع في الأخذ من المذاهب الأربعة وعدم الأقتصار على مذهب واحد وان يبنى ذلك الكتاب على الأقوى من الأدلة وعلى ما فيه المصلحة العامة للناس .

وانا على هذا الرأي على ان يؤلف لهذه الغاية لجنة من الأختصاصيين في العلوم الفقهية من اهل هذه المذاهب يقومون بهذا العمل وحلية هؤلاء الأخلاص وشعارهم التقوى وهم بعيدون عن هوى نفوسهم وشهوات نفسية يسعى وراء الوصول اليها ومقاصد سيئة يبتغى الحصول عليها . فأذا حصل هذا كذلك تظل الأمة الأسلامية متمسكة بشريعتها ويعود ذلك بالفوائد الجلي عليها ويكون لها من اعظم الوسائل لجمع كلمتها المتفرقة ولم شعثها واستعادة مجدها وما كان لها من حول وقوة .

ومما لا ريب فيه عند كل عاقل منصف ان الأخذ من المذاهب الأربعة بل ومن غيرها من الأقوال التي ذكرها الفقهاء والمحدثون في كتبهم لغير اهل هذه المذاهب المشهورة كمذهب الأوزاعي والسفيانين وعبد الرحمن بن ابي ليلى وغيرهم هو اولى من الأخذ بهذه القوانين الوضعية التي ما انزل الله بها من سلطان والتي حذرنا الله تعالى في كتابه المبين من الحكم بها ونعت فاعل ذلك بأشد النعوت . على ان يكون ذلك على مقتضى الخطة التي رسماها والطريقة التي بيناها .

وكتاب الأفصاح هذا نجد فيه تلك الجمعية مورداً صافياً ومعيناً غزيراً تستقي

منه عذباً زلالا ويكون لها على مقاصدها خير معين فرأيت ان نشر هذا السفر الجليل من الأمور المتحتمة الا ان تلك النسخة سقيمة الخط جمت الى ذلك اغلاطاً جمة وتحريفا كثيراً فلم يكن في الأمكان حينئذ تحقيق تلك الأمنية وابرازها لعالم الوجود والأمور مرهونة بأوقاتها.

بقية النسخ التي استحصلت عليها ووصفها

ولعل حسن النية وصحة السريرة يهيئان اسباب الوصول الى الرغائب ويسهلان الحصول على المقاصد ففي سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م ارسل لي الأديب الفاضل يوسف اليان سركيس الكتبي في مصر (مؤلف كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة) فهرس ما في مكتبته من الكتب لهذه السنة فوجدت في آخره ذكر ما نقله من المخطوطات العربية النادرة بالمصور الشمسي وفي جملة ذلك هذا الكتاب.

فتفضل بأرسال نسخة منه وهو في ٢٥٥ ورقة صغيرة الحجم في الورقة صحيفتان الصحيفة في ١٧ سطراً ويغلب على الظن انها مأخوذة عن نسخة في خزانة الوجيه المفضال سعادة احمد تيمور باشا لما سيأتيك.

وعلى الورقة الأولى ما نصه كتب برسم الخزانة العالية المولوية الملوكية المخدومية السيفية ثم المؤيدي امير سلاح دار (؟) ...

وعلى الورقة الأخيرة تاريخ كتابة النسخة واسم كاتبها وقد اثبت ذلك في آخر صحيفة من الطبع. وهي حسنة الخط مضبوطة بالشكل واقل تحريفا ونقصاً من السابقة.

والسابقة محررة بخط عبد الله بن بكر الكاري الحنفي القادري ثم القندهاري ولم يذكر تاريخ كتابته لها غير ان ظاهر حالتها يدل على انها كتبت في القرن الثاني عشر.

والنسختان ليس فيهما بعد البسملة سوى الحمدلة والتصلية في سطر واحد ثم الشروع في المقصود.

فشرعت عندئذ بالطبع على هاتين النسختين وبعد ان طبع منه بعض الملازم عثرت على نسخة ثالثة فى مكتبة التكية المولوية في حلب وهي قديمة الخط يرجع عهد كتابتها الى القرن السابع او الثامن الا اربع اوراق فى آخرها فأنها حديثة الكتابة وهى بخط حمزة بن صالح بن عمر الخزرجى الشافعي مولداً المقدسي منشأ ولم يذكر تاريخ كتابته لهذه الأوراق التي تمم بها الكتاب ولعل هذا الكاتب من اهل القرن العاشر على ما ظهر لنا . ولكن هذه النسخة ناقصة من اولها نحو ثلث الكتاب ما عدا ورقتين فأنها اول الكتاب وفى الصحيفة الأولى منها كلام المصنف على حديث (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) فكانت استفادتي من هذه النسخة فى الطبع من الصحيفة العاشرة بعد المائة من هذا المطبوع الى آخر الكتاب .

ولما وصلت فى الطبع الى الملزمة الثامنة ارسل لى الفاضل المحدث الشيخ محمد نور الدين الأستانبولى نزيل دمشق نسخة من هذا الكتاب وكان قد بلغه شروعى فى طبعه فجزاه الله احسن الجزاء وهي حسنة الخط ايضاً تماثل النسخة المصرية في الضبط وقلة التحريف والنقص كتب في اولها ما نصه:

﴿ تم نسخه في تاسع عشرين جمادى الاولى من شهور سنة عشرين بعد الألف ﴾ وعليها خط العلامة ابراهيم بن ابي اليمن بن عبد الرحمن البتروني الحلبي المتوفى سنة ١٠٥٣ وهو احد رجال تاريخنا (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٦ ص ٢٧٤) وذكر انه تملكها سنة سبع وعشرين والف اي بعد استنساخها بسبع سنوات فتكون هذه النسخة مما ابتيع من خزائن حلب. وعليها ايضاً خط محمد بن محمد ابن جانبك المالكى القاضى بدمشق. وهى في ٢١٦ ورقة الا انها من الورقة ١٤٥ مكتوبة بخط كاتب آخر يظهر انها تممت فى القرن الثانى او اوائل القرن الثالث عشر.

ولما وصلت الى الملزمة الحادية عشرة عثرت فى المكتبة الصديقية في حلب التي

وقفها الشيخ احمد الصديق المتوفى سنة ١٣٤٣ على الجامع الأحمدى في محلة الدلاتين خارج بانقوسا وهو ايضاً احد رجال تاريخنا (ج ٧ ص ٦٨٥) على نسخة خامسة بقطع كامل محررة سنه اثنين وسبعين وتسعمائة بخط علي بن عبد الله الرومي من مدينة قسطنطينية قال في آخرها حصل الفراغ من نسخها ببندر حرقيقو التي هي من بنادر ديار الحبشة وذلك في دولة مولانا الباشا عثمان بن الباشا ازدمر رحمه الله وهي في ١٥٢ ورقة وفيها تحريف كثير ايضاً ونقص لبعض الجمل. وبالجملة فأن النسخ الخمس فيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص فترى في هذه ما لا تراه فى تلك فلا تسل عما عانيته فى التصحيح ومقابلة تلك النسخ حتي استخلصت منها هذا المطبوع ويظهر ان المؤلف بعد ان انتشر كتابه زاد في بعض الأماكن ونقص فاختلفت لأجل ذلك نسخ هذا الكتاب هذا الأختلاف .

ما علمته ووقفت عليه من نسخ هذا الكتاب ايضاً

قال سعادة احمد تيمور باشا فى مقالته نوادر المخطوطات (الأفصاح) فى اختلاف المذاهب الأربعة للوزير ابن هبيرة كتاب جليل منه نسختان في خزانتنا .

ورأيت في رحلتى الى دمشق فى العام الماضي (سنة ١٣٤٧) نسختين منه فى المكتبة الظاهرية الواحدة فى ١٩ كراساً بقطع كبير وخط حسن ومعها كتاب فتاوي الامام النووي وهي محررة سنة ٧٧٤. والثانية بقطع وسط محررة سنه ١٠٠٦ وهذه في اولها صحيفة تكلم فيها على حديث (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) وهو عين ما اثبت في النسخة المولوية فنقلته لمقابلته .

ورأيت في رحلتى في ذي الحجة من هذه السنة الى اللاذقية نسخة في مكتبة مفتيها العالم الفاضل الشيخ مصطفي المحمودي وهي حديثة عهد بالكتابة محررة سنة (١١٤٧) وفى مكتبة خليل افندي المرتيني والد نبيه بك والى حلب الآن الجزء الثانى

منه اوله باب الاجارة محرر سنة ٨٧٨ .

ما قاله صاحب كشف الظنون عن هذا الكتاب

قال (الافصاح عن شرح معاني الصحاح) اي الاحاديث الصحاح لأبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير المتوفى سنة ٥٦٠ شرح فيه احاديث الصحيحين ثم لخصه ابو علي الحسن بن الخطير النمالي الفارسي المتوفي سنة ٥٩٨ . وقال في الكلام على كتاب الجمع بين الصحيحين للأمام الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي النصر الحميدي الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٨ وله شروح منها شرح عون الدين ابي المظفر يحيى بن محمد الخ كشف عما فيه من الحكم النبوية قال ابن شهبة في تاريخه وسماه الأيضاح عن معاني الصحاح في عدة مجلدات ولما بلغ فيه الى حديث من يرد الله به خيرا الخ شرح الحديث وتكلم عليه على معني الفقه فال به الكلام الى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها فأفرده الناس من الكتاب وجعلوه مجلداً وسموه بكتاب الافصاح وهو قطعة منه انتهى . وسيأتيك ذلك في ترجمة المؤلف .

من ترجم المؤلف

للمؤلف ترجمة موجزة في الدر المنضد في رجال الامام احمد (١) وهو مختصر في طبقات الحنابلة للعلامة عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي الحنبلي المتوفي سنة (٩٢٧) اختصره

---

(١) هو من مخطوطات المكتبة الاحمدية في حلب ولم يذكر في هذه النسخة اسم المؤلف وقد جاء في خطبته انه رتبه بعد فراغه من عمل الطبقات الكبرى الموسومة بالمنهج الأحمد في تراجم اصحاب الامام احمد . والمنهج الأحمد تكلم عليه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق في مجلة المقتبس في الجزء السادس في صحيفة (٨٥) وقال انه لعبد الرحمن بن محمد العمري وان الكتاب في خزانة الاستاذ الفاضل السيد محمد المبارك فتبين لنا حينئذ ان الدر المنضد هو لعبد الرحمن المذكور . وآخر ترجمة في المختصر ترجمة بدر الدين ابي المعالي بن ناصر الدين ابي عبد الله قاضي الديار المصرية وهو شيخ المؤلف وقال انه توفي سنة ٩٠٢ ودفن بتربة خارج باب النصر

من طبقاته الكبرى المسماة بالمنهج الأحمد في رجال الامام احمد وله ترجمة واسعة في طبقاته هذه .

وهذه الترجمة على سعتها مختصرة من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو كما قال صاحب الكشف ذيل على طبقات الحنابلة للقاضي ابي يعلى ابن الفرا المتوفى سنة ٥١٦ .

وطبقات ابي الفرج ابن رجب موجودة في المكتبة الظاهرية وقد تفضل الاديب الفاضل حسام الدين القدسي ناشر ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي وكتاب تبيين كذب المفتري على ابي الحسن الاشعري وغير ذلك من الكتب المفيدة باستنساخ ترجمة المؤلف منها . وارسل لي ايضاً الاديب الفاضل يوسف اليان سركيس الكتبي في مصر ترجمة المؤلف آخذاً لها بالمصور الشمسي من كتاب المنهج الاحمد المتقدم الذكر وقد قدمنا انها بعينها مأخوذة من طبقات الحنابلة لأبي الفرج مع اختصار بعض الاماكن فقابلت تلك على هذه وصححت ما فيها من التحريف والنقص واني لهذين الأديبين من الشاكرين على حسن صنيعهما وجميل معروفهما .

واني اذكر لك ترجمته هذه واتبعها بما عثرت عليه من احواله وشعره وان شذت

وذكر الاديب عيسى اسكندر المعلوف (في الجزء ١٢ من المجلد الثاني من مجلة المجمع العلمي ص ٣٥٣) انه وقف على قطعة صالحة من طبقات الحنابلة في مكتبة الشيخ سعيد الكرمي احد اعضاء المجمع العلمي وهي بخط قديم خرمت من اولها وآخرها تقع في ٢٦٨ صحيفة بقطع كامل من النصف العادي . وقال ومما بقي من التراجم فيها سيرة ١٦٧ عالماً وان المؤلف توسع في تراجم العظماء منهم وافاض في اوصافهم واعمالهم بكل استقراء وتقص وممن اطال في سيرته يحيى بن محمد بن هبيرة العالم العادل صدر الوزرا الذي وصفه بالعلم الواسع والرئاسة التامة فجاءت ترجمته في نحو ٤٠ صفحة .

بعد ذلك ان تزداد معرفة بأحوال هذا الوزير الخطير فارجع الى تاريخ ابن خلكان فأن له فيه ترجمة حافلة وفيها زيادات كثيرة هامة. واختم ذلك بكلامه على حديث (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) المثبت فى النسختين المولوية والظاهرية حتى اذا اعيد طبع هذا الكتاب تثبت تلك الصحيفة فى اوله وبالله التوفيق.

الناشر

محمد راغب

الطباخ

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسين بن احمد بن الحسن بن الجهم بن عمرو ابن هبيرة بن علوان بن الحوفزان وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس ابن شرحبيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة الشيباني الدوري (١) ثم البغدادي الوزير العالم العادل صدر الوزراء عون الدين ابو المظفر.

ولد فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة بالدور (٢) قرية من اعمال الدجيل ودخل بغداد شاباً وقرأ القرآن بالروايات على جماعة وسمع الحديث

(١) اقول ساق ابن خلكان بقية نسبه الى معد بن عدنان (٢) الذى فى ابن خلكان انه من قرية فى بلاد العراق تعرف بقرية بني اوقر من اعمال دجيل وهى دور عرمانيا وتعرف الآن بدور الوزير نسبة اليه وكان والده من اجنادها • وفي معجم البلدان في الكلام على دور (ج ٤ ص ٩٨) وفي عمل الدجيل قرية تعرف بدور بنى اوقر وهى المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وفيها جامع ومنبر • وبنو اوقر كانوا مشايخها وارباب ثروتها وبنى الوزير بها جامعاً ومنارة وآثار الوزير حسنة وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ اهـ •

الكثير من جماعة منهم القاضي ابو الحسين ابن الفراء وأبو الحسين بن الزاغوني وعبد الوهاب الاغاطي وابو غالب بن البنا وابو عثمان بن ملة وابن المحسن وغيرهم.

وقرأ الفقه على ابي بكر الدينوري فيما ذكره ابن القطيعي وقيل انه قرأ على ابي الحسين ابن الفراء وقرأ الادب على ابي منصور بن الجواليقي.

وصحب ابا عبد الله محمد بن يحيى الزبيدي (١) الواعظ الزاهد من حداثته وكمل عليه فنوناً من العلوم الادبية وغيرها واخذ عنه التأله والعبادة وانتفع بصحبته حتى ان الزبيدي كان يركب جملاً ويعتم بفوطة ويلويها تحت حنكه وعليه جبة صوف وهو مخضوب بالحناء فيطوف بأسواق بغداد ويعظ الناس وزمام جمله بيد ابي المظفر ابن هبيرة وهو ايضا معتم بفوطة من قطن قد لواها تحت حنكه وعليه قميص قطن خام قصير الكم والذيل وكلما وصل الزبيدي موضعاً أشار ابو المظفر بمسبحته ونادى برفيع صوته لا اله الا الله وحده لاشريك له. له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ذكر ذلك ابو بكر التيمي ابن المرستانية في الكتاب الذي جمعه في مناقب الوزير وفضائله وقال ابن الجوزي كانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض وصنف في تلك العلوم وكان متشدداً في اتباع السنة وسيرة السلف.

قلت صنف الوزير ابو المظفر كتاب الافصاح عن معاني الصحاح في عدة مجلدات وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم ولما بلغ فيه الى حديث (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) شرح الحديث وتكلم على معنى الفقه وآل به الكلام الى ان ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين وقد افرده الناس من الكتاب وجعلوه مجلدة مفردة وسموه بكتاب الأفصاح

(١) ذكره ابن خلكان في آخر ترجمة المترجم.

وهو قطعة منه .

وهذا الكتاب صنفه في ولايته الوزارة واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب وأوفدهم من البلدان اليه لأجله بحيث انه انفق على ذلك مائة ألف دينار وثلاثة عشر الف دينار وحدث به واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه وكتب به نسخة لخزانة المستنجد وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها فاستنسخوا لهم به نسخاً ونقلوها اليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد ويعيده المعيدون ويحفظ منه الفقهاء .

وصنف في النحو كتابا سماه المقتصد وعرضه على أئمة الأدب في عصره واشار الى ابن الخشاب بالكلام عليه فشرحه في اربع مجلدات وبالغ في الثناء عليه واختصر كتاب اصلاح المنطق لأبن السكيت وكان ابن الخشاب يستحسنه ويعظمه .

وصنف كتاب العبادات الخمس على مذهب الأمام احمد وحدث به بحضرة العلماء من أئمة المذاهب . وله ارجوزة في المقصور والممدود وأرجوزة في علم الخط .

وقد صنف ابن الجوزي كتاب المقتبس من الفوائد العونية وذكر فيه الفوائد التي سمعها من الوزير عون الدين واشار فيه الى مقاماته في العلوم وانتقى من زبد كلامه في الأفصاح على الحديث كتاباً سماه محض المحض .

وكان ابن هبيرة رحمه الله في اول امره فقيراً فاحتاج الى ان دخل في الخدم السلطانية فولى اعمالا ثم جعله المقتفي لأمر الله مشرفا في المخزن ثم نقل الى كتابة ديوان الزمام ثم ظهر المقتفي كفايته وشهامته وامانته ونصحه وقيامه في مهام الملك فاستدعاه المقتفي سنة اربع واربعين وخمسمائة الى داره وقلده الوزارة وخلع عليه وخرج في ابهة عظيمة ومشي ارباب الدولة وأصحاب المناصب كلهم بين يديه

وهو راكب الى الأيوان في الديوان وحضر الشعراء والقراء وكان يوما مشهودا وقري عهده وكان تقليدا عظيما بولغ فيه في مدحه والثناء عليه الى الغاية وخوطب فيه بالوزير العالم العادل عون الدين جلال الاسلام صفي الأمام شرف الأنام معز الدولة شبير الملة عماد الأمة مصطفي الخلافة تاج الملوك والسلاطين صدر الشرق والغرب سيد الوزراء ظهير امير المؤمنين .

وكان الوزير قبل وزارته يلقب جلال الدين وقال يوماً لا تقولوا في القابي سيد الوزراء فأن الله تعالى سمي هارون وزيرا وجاء عن النبي ﷺ ان وزيريه من اهل السماء جبريل وميكائيل ومن اهل الأرض ابو بكر وعمر .

وجاء عنه انه قال ان الله اختارني واختار لي اصحابا فجعلهم وزراء وانصاراً . ولا يصلح ان يقال عني انى سيد هؤلاء السادة .

قال صاحب سيرته ركب الوزير الى داره مجاورة الديوان وبين يديه جميع من حضر من ارباب الدولة واصحاب المناصب والأمراء والحجاب والصدور والأعيان وقد اخذ قوس الخلافة باريها واستقرت الوزارة في كفوها وكافيها فقام فيها قيام من عدّله الزمان بثقافه وزينه الكمال بأوصافه ودبرها بجوده ونهاه واورد الآمل فيها مناه ومد الدين روافه وأمن بدره به محاقه فأقام سوق الخلافة على ساقيها وابتدع في انتظام مسالكها واتساقها وأوضح رسمها وأثبت في حين أوانه وسمها وتتبع ما افسدته العين منها بالأصلاح واستدرك بها ما أمرضته يد الأجتياح وداوي كل حال بدوائه ورد غاير الماء الى لحائه واقام الصلاة جماعة وافترض العدل سمعاً لله وطاعة ودعا لأهل الفضل والمعارف وآواهم من بره الى ظل وارف حتى صارت دولته مشرعا للكرم ومسترجى لآمال الأمم برتضع فيه المكارم اخلاف وتداربها الأماني سلاف ونفقت فيها اقدار الأعلام

وتدفقت فيها بحار الكلام ولاحت بها من العلماء شموس وارتاحت فيها المطلبة بالعلوم نفوس ولم تخل ايامه ومجالسه من مناظرة ولا عمرت الا بمذاكرة ومحاضرة الا اوقات عطلها من ذلك النظام وأوقفها اما على صلاة او صيام او على تصنيف وجمع وتأليف بحيث صنف عدة كتب منها كتاب الأفصاح عن شرح معاني الصحاح وهذا الكتاب بمفرده يشتمل على تسعة عشر كتابا .

ولما ولي الوزير ابو المظفر رحمه الله الوزارة بالغ في تقريب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين واجتهد في اكرامهم وايصال النفع اليهم وارتفع بهم اهل السنة غاية الأرتفاع . ولقد قال مرة في وزارته والله لقد كنت اسأل الله تعالى الدنيا لأخدم بما يرزقنيه الله منها العلم وأهله . وكان سبب هذا انه ذكر مرة في مجلسه مفردة للأمام احمد تفرد بها عن الثلاثة فادعى ابو محمد الأشتري المالكي انها رواية عن مالك ولم يوافقه على ذلك احد واحضر الوزير كتب مفردات احمد وهي منها والمالكي مقيم على دعواه فقال له الوزير بهيمة انت اما تسمع هؤلاء الائمة يشهدون بانفراد أحمد بها والكتب المصنفة وانت تنازع وتفرق المجلس فلما كان المجلس الثاني واجتمع الخلق للسماع اخذ ابن شافع في القراءة فمنعه وقال قد كان الفقيه ابو محمد جرى في مسألة امس على ما لا يليق به من العدول عن الأدب والأنحراف عن نهج النظر حتى قلت تلك الكلمة وها انا فليقل لي كما قلت له فلست بخير منكم ولا انا الا كاحدكم فضج المجلس بالبكاء وارتفعت الأصوات بالدعاء والثناء واخذ الأشتري يعتذر ويقول انا المذنب والأولى بالأعتذار من مولانا الوزير وهو يقول القصاص القصاص فقال يوسف الدمشقي مدرس النظامية يا مولانا اذا أبى القصاص فالفداء .

فقال الوزير له حكمه فقال الأشتري نعمك عليّ كثيرة فأي حكم بقي لي فقال

قد جعل الله لك الحكم علينا بما الجأتنا به الى الأفتيات عليك فقال عليّ بقية دين منذ كنت بالشام فقال الوزير يعطى مائة دينار لأبراء ذمته وذمتي فأحضر له مائة دينار فقال له الوزير عفا الله عنك وعني وغفر لك ولي .

وذكر ابن الجوزي انه قال يعطى مائة دينار لأبراء ذمته ومائة دينار لأبراء ذمتي وكان هذا الاشتري من علماء المالكية طلبه الوزير من نور الدين محمود بن زنكى فأرسل به اليه فأكرمه غاية الاكرام. قال ابن الجوزي وكان الوزير اذا استفاد شيئا قال افادنيه فلان حتى انه عرض له يوما حديث وهو (من فاته حزب من الليل فصلاه قبل الزوال كان كأنه صلى بالليل) فقال ما ادري معني هذا فقلت له هذا ظاهر في اللغة والفقه اما اللغة فأن العرب تقول كيف كنت الليلة الى وقت الزوال واما الفقه فأن ابا حنيفة يصحح الصوم بنية قبل الزوال فقد جعل ذلك الوقت في حكم الليل فأعجبه هذا القول. وكان يقول بين الجمع الكثير ما كنت ادرى معنى هذا الحديث حتى عرفنيه ابن الجوزي فكنت استحي من الجماعة قال وجعل لى مجلسا فى داره كل جمعة يطلقه ويطلق للعوام الحضور .

وكان بعض الفقراء يقرأ القرآن فى داره كثيراً فأعجبه فقال لزوجته اريدان ازوجه ابنتى فغضبت الأم من ذلك. وكان يقرأ الحديث عنده كل يوم بعد العصر وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء وكانت امواله مبذولة لهم ولتدبير الدولة فكانت السنة تدور عليه وعليه ديون وقال ما وجبت عليّ زكاة قط فقلت وفي ذلك يقول بعض الشعراء .

يقولون يجي لا زكاة لماله ☆ وكيف يزكى المال من هو باذله

اذا دار حول لا يرى في بيوته ☆ من المال الا ذكره وفضايله

وقال ابن الجوزي وكان يتحدث بنعم الله تعالى عليه ويذكر في منصبه شدة

فقره القديم فيقول نزلت يوماً الى دجلة وليس معي رغيف اعبر به ثم ذكر طرفا من حلمه وصفحه وعفوه فقال لما جلس في الديوان اول وزارته احضر من غلمان الديوان فقال دخلت يوما الى هذا الديوان فقعدت في مكان فجاء هذا فقال قم فليس هذا موضعك فأقامني فاكرمه واعطاه ودخل عليه يوما تركي فقال لحاجبه اما قلت لك اعط هذا عشرين ديناراً ووقراً من الطعام وقل له لا تحضر ها هنا فقال قد اعطيناه فقال عد واعطه وقل له لا تحضر ثم التفت الى الجماعة وقال لا شك انكم تريبون بسبب هذا فقالوا نعم فقال هذا كان شحنة في القرى فقتل قتيل قريباً من قريتنا فأخذ مشايخ القرى وأخذني مع الجماعة وامشاني مع الفرس وبالغ في اذاي واوثقني ثم اخذ من كل واحد شيئا واطلقه ثم قال لي اى شيء معك قلت ما معي شيء فانتهرني وقال اذهب فانا لا اريد اليوم اذاه وابغض رؤيته. وقد ساق مصنف سيرة الوزير هذه الحكاية بأتم من هذا السياق وذكر ان الوزير قال ما نقمت عليه الا اني سألته في الطريق ان يمهلني حسب ما اصلي الفرض فما اجابني وضربني على رأسي وهو مكشوف عدة مقارع فكنت انقم عليه حين رأيته لأجل الصلاة لا لكونه قبض علي فأنه كان مأمورا وذكر انه استخدمه في اصلح معايش الأمراء واستحله من صياحه عليه اخرجوه عني .

قال ابن الجوزي وكان بعض الاعاجم قد شاركه في زراعة فآل الأمر الى ان ضرب الأعجمي الوزير وبالغ فلما ولي الوزارة اتى به فاكرمه ووهب له وولاه اينيت (١) وعن احمد بن عبد الدائم المقدسي قال حكى لنا ابن الجوزي قال كنا نجلس الى الوزير ابن هبيرة فيملي علينا كتابه الافصاح فبينا نحن كذلك اذ قدم

(١) هكذا ولم اجدها في المعجم ولعلها محرفة اهم

رجل ومعه رجل ادعى عليه انه قتل اخاه فقال له عون الدين اقتلته قال نعم جرى بيني وبينه كلام فقتلته فقال الخصم سلمه اليّ حتى اقتله فقد اقر بالقتل فقال عون الدين اطلقوه ولا تقتلوه فقالوا كيف ذلك وقد قتل اخانا قال فتبيعونيه فاشتراه منهم بستمائة دينار وسلم الذهب اليهم وذهبوا فقال للقاتل انعد عندنا لا تبرح قال فجلس عندهم واعطاه الوزير خمسين دينارا قال فقلنا للوزير لقد احسنت الى هذا وعملت معه امراً عظيما وبالغت في الاحسان اليه فقال الوزير أفيكم احد يعلم ان عيني اليمنى لا ابصر بها شيئاً فقلنا معاذ الله فقال بلى والله اتدرون ما سبب ذلك قلنا لا قال هذا الذي خلصته من القتل جاء الي وانا في الدور ومعي كتاب من الفقه اقرأ فيه ومعه سلة فاكهة فقال احمل هذه السلة قلت له ما هذا شغلي فاطلب غيري فشاكلني ولكمني فقلع عيني ومضى ولم اره بعد ذلك الى يومي هذا فذكرت ما صنع بي فاردت ان اقابل اساءته اليّ بالاحسان مع القدرة.

قال ابن الجوزي كان الوزير مجتهداً في اتباع الحق ويحذر من الظلم ولا يلبس الحرير وكان مبالغاً في تحصيل التعظيم للدولة العباسية قامعاً للمخالفين بأنواع الحيل حسم امور السلاطين السلجوقية.

وذكر صاحب سيرته انه سمعه يذكر انه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا عزم هو والخليفة على قتاله قال ثم اني فكرت بعد ذلك ورأيت انه ليس بصواب مجاهرته لقوة شوكته فدخلت على المقتفي فقلت اني رأيت ان لا وجه في هذا الامر الا اللجاء الى الله تعالى وصدق الاعتماد عليه فبادر الى تصديقي في ذلك وقال ليس الا هذا ثم كتبت اليه ان رسول الله ﷺ قد دعا على رِعل وذكوان شهراً وينبغي ان ندعو نحن شهرا فأجابني بالأمر بذلك.

قال الوزير ثم لازمت الدعاء في كل ليلة وقت السحر اجلس فأدعو الله سبحانه

فات مسعود لتمام الشهر لم يزد ولا ينقص يوما واجاب الله الدعاء وازال يد مسعود وأتباعه عن العراق واورثنا ارضهم وديارهم وهذه القصة تذكر في كرامات الخليفة والوزير رحمهما الله .

وكاتب الوزير ابن هبيرة السلطان نور الدين محمود بن زنكى يستحثه على انتزاع مصر من يد العبيديين فسير اليها أسد الدين شيركوه مرتين وفى المرة الثانية خطب بها المستنجد وجاء الخبر بذلك الى بغداد سنة تسع وخمسين وخمسمائة وعمل ابو الفضائل بن ركان حاجب الوزير بن هبيرة قصيدة يهنى بها الوزير بفتح مصر ويذكر ان ذلك كان بسبب سعيه وبركة رأيه وتكامل انتزاع مصر من بنى عبيد واقامة الخطبة لبني العباس بها بعد تسع سنين في خلافة المستضيء فعظمت حرمة الدولة العباسية فى وقته وانتشرت اقامة الدعوة لها في البلاد .

قال ابن الجوزي وكان المقتفى معجباً به يقول ما وزر لبني العباس مثله .

قال ابن الجوزى حدثنى الوزير قال لما رجعت من الحلة وكان قد خرج لدفع بعض البغاة دخلت على المقتفى فقال لى ادخل هذا البيت فغير ثيابك فدخلت فاذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير فقلت انا والله ما ألبس هذه فخرج الخادم فاخبر المقتفى فسمعت صوت المقتفي وهو يقول قد والله قلت انه ما يلبس .

وذكر صاحب سيرته هذه الحكاية مبسوطة قال فعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه عليّ وقال قد أخبرت امير المؤمنين بامتناعك فقال والله لقد حسبت هذا وانه لا يفعل قال فقلت حينئذ لنفسي يا يحيى كيف رأيت طاعة الله لو كنت قد لبستها كيف كنت تكون فى نفس امير المؤمنين وكيف كانت تكون منزلتك عنده . قال صاحب سيرته وكان لا يلبس ثوبا يزيد فيه الا بربسم

على القطن فأن شك فى ذلك سل طاقانه ونظر هل القطن اكثر أم الابريسم فان استويا لم يلبسه قال واقد ذكر يوما في بعض مجالسه فقال له بعض الفقهاء الحنابلة يا مولانا اذا استويا جاز لبسه فى احد الوجهين عن اصحابنا فقال انى لا آخذ الا بالأحوط. قال وذكر يوما بين يديه انه كان للصاحب بن عباد دست من ديباج فقال الوزير قبيح والله بالصاحب ان يكون له دست من ديباج فأنه وان كان مزينه فهو معصية وهجنة .

قال ابن الجوزى ونقله عنه ابن القطيعى سمعت ابن هبيرة الوزير يقول جاءنى مكتوب مختوم من المستنجد في حياة ابيه المقتفي فقلت للرسول ارجع اليه وقل له ان كان فيه ما تكره ان يعلم به امير المؤمنين فلا حاجة لك فى فتحه فأنى اعرفه ما فيه وان لم تكن تكره اطلاعه عليه فافتحه ثم اعطه الرسول ففضي ولم يعد وحصل فى نفسه من ذلك شيء فلما توفي المقتفى وولي المستنجد امر بحضوره للبايعة قال ابن الجوزى فقال لى الوزير حين جاءه الرسول ان وصلت الى امير المؤمنين نلت ما اريد وان قتلت قبل وصولى اليه فا(لى) حيلة فا كان الا ساعة دخوله حتى عاد فرحا فقلت له ما الخبر قال وصلت اليه وبايعته ثم قلت يكفى العبد في صدقه ونصحه انه ما جاء بي مولانا في ابيه نصحا لأمير المؤمنين واشرت الى رد مكتوبه فقال صدقت أنت الوزير فقلت الى متى قال الى الموت قلت احتاج والله الى اليد الشريفة فأحلفته على ما ضمن لى.

قال صاحب سيرته واخبرني الخادم مرجان بن عبد الله احد خواص خدم الخلافة قال سمعت المستنجد بالله امير المؤمنين ينشد وزيره عون الدين ابا المظفر بن هبيرة وقد مثل الوزير بين يدي سدته في اثناء مفاوضة جرت بينهما في كلام يرجع الى تقرير قواعد الدين والنظر في مصالح الأسلام والمسلمين فأعجب الخليفة به

فأنشده الخليفة يمدحه بأربعة ابيات الأخيرين منها لنفسه والأولين لابن حيّوس وهي:

صفت نعمتان خصتاك وعمنا ✡ فذكرهما حتى القيامة يذكر (١)

وجودك والدنيا اليك فقيرة ✡ وجودك والمعروف في الناس ينكر (٢)

فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ✡ ويحيى لكفا عنه يحيى وجعفر

ولم ار من ينوي لك السوء يا ابا ✡ المظفر الا كنت انت المظفر

وقال ابن الدبيثي في تاريخه كان عالما فاضلا عاملا ذا رأي صائب وسيرة صالحة وظهرت منه كفاية تامة وقيام بأعباء الملك حتى شكره الخاص والعام. وكان مكرما لأهل العلم ويقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره وكان مقربا لأهل العلم والدين كريما طيب الخلق.

قال ابن القطيعي كان ابن هبيرة عفيفا في ولايته محمودا في وزارته كثير البر والمعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام يحب اهل العلم ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم جميل المذهب شديد التظاهر بالسنة. قال ومن كثرة ميله الى العلم بالسنة اجتاز في سوق بغداد وهو الوزير فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وقال صاحب سيرته ولقد بلغ به شدة الورع بحيث أحضر له كتاب من وقف المدرسة النظامية ليقرأ عنده فقال قد بلغني ان الواقف شرط في كتاب الوقف ان لا يخرج شيء من كتب الوقف عن المدرسة وامر برده فقيل له ان هذا شيء ما تحققناه فقال ليس قد قيل ولم يمكنهم من قراءته وحثهم على اعادته.

قال وحدثني الفقيه ابو حامد احمد بن محمد بن عيسى الحنبلي قال حدثني الوزير

(١) الشطرة الثانية في منتخبات البارودي من شعر ابن حيوس الشاعر الحلبي هكذا حديثهما حتى القيامة يؤثر (٢) في المنتخبات في الخلق منكر اهـ

عون الدين قال كان بيني وبين بعض مشايخ القرى معاملة مضيت من اجلها من الدور الى قريته فلم اجده فقعدت لانتظاره حتي هجم الليل فصعدت على سطحه للنوم فسمعت قوما يسفهون بالهجر من الكلام فسألت عنهم فأخبرت انهم يعصرون في النهار الخمر ويسفهون في الليل فقلت والله لابتن بها فقيل لم فقلت اخاف ان ينزل بهم عذاب وسخط فأكون معهم فأن لم يكن خسفا حقيقيا كان خسفا معنويا بما يدخل على القلب من القساوة والفتور عن ذكر الله تعالى بسماع هذا الكلام ومضيت ذلك الوقت الى الدور .

قال الوزير فلما عدت انا والمقتفي لأمر الله تعالى من حصار قلعة تكريت مررنا بتلك القرية فسألني المقتفي عنها فقلت هذه الناحية للوكلاء اجلهم الله تعالى فقال لأن تكون لك اذ هي في جوارك اصلح من ان تكون لنا فتقدم الى عمالك بالتصرف فيها فذكرت حينئذ حالتي تلك بها وقلت له في بركة ذلك الفعل رزقت القرب منك يا امير المؤمنين وتملك الناحية من غير طلب مني لها فاستظرف ذلك مني وكثر تعجبه منه .

قال وكان الوزير شديد التواضع رافعا للكبر شديد الايثار لمجالسة ارباب الدين والفقراء بحيث سمعته في بعض الأيام يقول لبعض الفقراء وهو يخاطبه انت اخي والمسلمون كلهم اخوة . قال واقد كنا يوما بالمجلس على العادة لسماع الحديث اذ دخل حاجبه ابو الفضايل بن تركان فسارّ الوزير بشيء لم يسمعه احد فقال له الوزير ادخل الرجل فأبطأ عليه فقال الوزير اين الرجل فأبطأ فقال اين الرجل فقال الحاجب ان معه شملة صوف مكورة وقد قلت له اتركها مع احد الغلمان خارجا عن الستر وادخل فقال لا ادخل الا وهي معي فقال له الوزير دعه يدخل وهي معه فخرج وعاد واذا معه شيخ طوال من اهل السواد وعليه فوطة قطن

وثوب خام وفى رجليه جمجمان فسلم وقال للوزير ياسيدي ان ام فلان يعنى ام ولده لما علمت انى متوجه اليك قالت لى بالله سلم على الشيخ يحيى عنى وارفع اليه بهذه الشملة فقد خبزتها على اسمه فتبسم الوزير اليه وأقبل عليه وقال الهدية لمن حضر وأمر بحملها فحلت الشملة بين يديه فأذا بها خبز شعير مشطور بكالخ اكشوب (هكذا) فأخذ الوزير منه رغيفين وقال هذا نصيبي وفرق الباقي على من حضر من صدور الدولة والسادة الجلة وسأله عن حوائجه جميعها وتقدم بقضائها على المكان ثم التفت الى الجماعة وقال هذا شيخ قد تقدمت صحبتي له قديما واختبرته في زرع كان بيننا فوجدته امينا ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ ولا تكبر عليه ولا اعرض عنه بل احسن لقاءه وقضاء حوائجه واجزل عطاءه .

ثم حكى انه كان بينه وبين هذا الشيخ زرع وانهم خشوا عليه من جيش عظيم نزل عندهم فقرأوا على جوانبه القرآن فسلم لم يرع سنبلة واحدة .

قال ودخل عليه يوما نقيب نقباء الطالبيين الطاهر بن احمد بن على الحسيني فسلم عليه وخدمه وسأله رفع رقعة له الى الخليفة المستنجد وان يتكلم له عند عرضها ولا يهملها فتبسم وقال والله ما اهملت لأحد رقعة قط ولا حاجة حضرنى ذكرها وذكر حكاية عن الوزير ابن العميد انه وعد رجلا النظر في ظلامته ومطله وسوفه وقال سننظر فيها فقال له بعض اصحابه هذا كلام من لا يعرف دبيب الساعات فى انخرام الدول فانتبه لها ابن العميد وآلى ان يتولى رفع ظلامات المتظلمين .

قال ودخل عليه يوما ابو الفرج عبد الخالق بن يوسف المحدث وقال في كلامه الخادم شيخ من حملة القرآن واهل العلم ورواة الحديث وله وعليه حقوق في بيت المال فانظر له وعليه مقاطعة شيء من الجانب الغربى وليس بيده شيء فتقدم له الوزير بخمسين دينارا فبضها فى مجلسه ثم قال هذا بعض مالك على بيت المال فأد بعض

ما عليك لبيت المال .

قال وكنا يوماً عنده والمجلس غاص بولاة الدين والدنيا والأعيان الاماثل وابن شافع يقرأ عليه الحديث اذا فجأنا من باب الستر وراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح مرتفع فاضطرب له المجلس وارتاع الحاضرون والوزير ساكن ساكت حتى انهى ابن شافع قراءة الأسناد ومتنه ثم اشار الوزير الى الجماعة ان على رسلكم وقام ودخل الستر ولم يلبث ان خرج فجلس وتقدم بالقراءة ودعا له ابن شافع والحاضرون وقالوا قد ازعجنا ذلك الصياح فأن رأى مولانا ان يعرفنا سببه فقال الوزير حتي ينتهي المجلس وعاد ابن شافع الى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال فعاودوه فقال كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح عليه ولا تفين الأمر علي بالأمر بالمعروف في الأنكار عليهم ذلك الصياح لما فات عن مجلس رسول الله ﷺ فعجب الحاضرون من صبره .

قال وحضر يوماً في دار الخلافة بالمرخم من التاج فجلس به وحضر ارباب الدولة بأسرهم للصلاة على جنازة الأمير اسماعيل بن المستظهر فسقط من السقف افعى عظيمة المقدار على كتف الوزير فما بقي احد من ارباب الدولة وحواشي الخدمة الا خرج اوقام عن موضعه الا الوزير فأنه التفت الى الأفعى وهي تسرح على كمه حتى وقعت على الأرض وبادرها المماليك فقتلوها ولم يتحول الوزير عن بقعته ولا تغير في هيئته ولا عبارته .

﴿ استنباطاته الدقيقة من كلام الله ورسوله ﴾

والوزير رحمه الله تعالى من الكلام الحسن والفوائد المستحسنة والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جداً . وله من الحكم والمواعظ والكلام في اصول السنة وذم من خالفها شيء كثير ايضاً ونذكر هنا بعض ذلك ان شاء الله تعالى .

قال ابن الجوزي في كتاب المقتبس سمعت الوزير يقول الآيات اللواتي في الأنعام (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محكمات وقد اتفقت عليها الشرائع وانما قال في الآية الأولى (لعلكم تعقلون) وفي الثانية (لعلكم تذكرون) وفي الثالثة (لعلكم تتقون) لأن كل آية يليق بها ذلك فأنه قال في الأولى ان لا تشركوا بي شيئا والعقل يشهد بأن الخالق لا شريك له ويدعو العقل الى بر الوالدين وينهى عن قتل الولد واتيان الفواحش لأن الانسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته فكذلك هو ينبغي ان يجتنبها وكذلك قتل النفس فلما لاقت هذه الأمور بالعقل قال لعلكم تعقلون. ولما قال في الآية الثانية ولا تقربوا مال اليتيم .

والمعنى اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيما واذكر عند وزنك لو كنت الموزون له واذكر كيف تحب العدل لك في القول فاعدل في حق غيرك. وكما لا تؤثر ان يخان عهدك فلا تخن فلاق بهذه الأشياء التذكير فقال [لعلكم تذكرون] وقال في الثالثة [وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه] فلاق بذلك اتقاء الزلل فلذلك قال [لعلكم تتقون].

قال وسمعته يقول في قوله تعالى [فأنك من المنظرين] قال ليس هذا بأجابة سؤاله وانه سأل الأنظار فقيل له كذا قدر لا انه جواب سؤاله لكنه ما فهم .

وسمعته يقول في قوله تعالى [قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا] قال انما لم يقل ما كتب علينا لأنه امر يتعلق بالمؤمن ولا يصيب المؤمن شيء الا وهو له ان كان خيرا فهو له في العاجل وان كان شرا فهو ثواب في الآجل .

وسمعته يقول في قوله تعالى [حجابا مستورا] قال اهل التفسير يقولون ساترا والصواب حمله على ظاهره وان يكون الحجاب مستورا عن العيون فلا يرى وذلك ابلغ. وسمعته يقول في قوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله)

قال ما قال ما شاء الله كان ولا يكون بل اطلق اللفظ ليعم الماضي والمستقبل والراهن. قال وتدبرت قوله تعالى [لا قوة الا بالله] فرأيت لها ثلاثة اوجه احدها ان قائلها يتبرأ من حوله وقوته ويسلم الامر الى مالكه. والثاني انه يعلم انه لا قوة للمخلوقين الا بالله فلا يخاف منهم اذ قواهم لا تكون الا بالله وذلك يوجب الخوف من الله وحده. والثالث انه رد على الفلاسفة والطبايعيين الذين يدعون القوى في الأشياء بطبعها فأن هذه الكلمة بينت ان القوى لا تكون الا بالله.

وسمعته يقول في قوله تعالى (فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا) قال التاء من حروف الشدة يقول في الشيء القريب الأمر ما اسطعته وفي الشديد ما استطعته فالمعنى ما اطاقوا ظهوره لضعفهم وما قدروا على نقبه لقوته وشدته.

وسمعته يقول في قوله تعالى (ان الساعة آتية اكاد اخفيها) قال المعنى اني قد اظهرتها حين اعلمت بكونها لكن قاربت ان اخفيها بتكذيب المشرك بها وغفلة المؤمن عنها فالمشرك لا يصدق كونها والمؤمن يهمل الاستعداد لها.

قال وقرأت عليه مما جمعه من خواطره قال قرأ عندي قاريء (قال هم أولاء على اثري) فأفكرت في معنى اسقاط ها فنظرت فأذا وضعها التنبيه والله لا يجوز ان يخاطب بهذا ولم أر أحداً خاطب الله عز وجل بحرف التنبيه الا الكفار كما قال عز وجل (قالوا ربنا هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك ربنا هؤلاء اضلونا) وما رأيت احداً من الأنبياء خاطب ربه بحرف التنبيه والله اعلم.

فأما قوله (وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) فأنه قد تقدم الخطاب بقوله يا رب فبقيت هنا التمكين ولما خاطب الله عز وجل المنافقين قال (ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وكرم المؤمنين بأسقاط ها فقال [ها انتم اولاء تحبونهم] وكان التنبيه للمؤمنين اخف.

وسمعته يقول في قوله تعالى [انه يعلم الجهر من القول] المعنى انه اذا اشتدت الاصوات وتغالبت فأنها حالة لا يسمع فيها الانسان والله عز وجل يسمع كلام كل شخص بعينه ولا يشغله سمع عن سمع .

قال وقوله (قل رب احكم بالحق) قال المراد منه كن انت ايها القائل على الحق ليمكنك ان تقول احكم بالحق لأن المبطل لا يمكنه ان يقول احكم بالحق .

وسمعته يقول في قوله تعالى (قل لا تقسموا طاعة معروفة) قال وقع لي فيها ثلاثة اوجه احدها ان المعنى لا تقسموا واخرجوا من غير قسم ليكون المحرك لكم الى الخروج الأمر لا القسم فأن من خرج لأجل قسمه ليس كمن خرج لأمر ربه والثاني ان المعنى نحن نعلم ما في قلوبكم وهل انتم على عزم الموافقة للرسول في الخروج فالقسم ها هنا اعلام منكم لنا بما في قلوبكم وهذا يدل منكم على انكم ما علمتم ان الله يطلع على ما في القلوب. والثالث انكم ما اقسمتم الا وانتم تظنون انا نتهمكم ولولا انكم في محل تهمة ما ظننتم ذلك فيكم وهذا المعنى وقع المتنبي فقال :

وفي يمينك فيما انت واعده ✡ ما دل انك في الميعاد متهم

وسمعته يقول في قوله تعالى (او يلقى له كنز او تكون له جنة) قال العجب لجهلهم حين ارادوا ان يلقى اليه كنز او تكون له جنة ولو فهموا علموا ان كل الكنوز له وجميع الدنيا ملكه اوليس قد قهر ارباب الكنوز وحكم في جميع الملوك وكان من تمام معجزته ان الاموال لم تفتح عليه في زمنه لئلا يقول قائل قد جرت العادة بأن اقامة الدول وقهر الاعداء بكثرة الأموال فتمت المعجزة بالغلبة والقهر من غير مال ولا كثرة اعوان ثم فتحت الدنيا على اصحابه ففرقوا ما جمعه الملوك بالشره فأخرجوه فيما خلق له ولم يمسكوه امساك الكافرين ليعلم الناس بأخراج ذلك المال ان لنا دارا سوى هذه ومقرا غير هذا وكان من تمام

المعجزات للنبي ﷺ انه لما جاء بالهدى فلم يقبل سل السيف على الجاحد ليعلمه ان الذى بعثنى قاهر بالسيف بعد القهر بالحجج ومما يقوي صدقه ان قيصر وكبار الملوك لم يوفقوا للايمان به لئلا يقول قائل انما ظهر لأن فلانا الملك تعصب له فتقوى به فبان ان امره من السماء لا بنصر اهل الأرض .

وقال في قوله تعالى (فقد كذبوكم بما يقولون) قال المعنى فقد كذبتم اصنامكم بقولكم لأنكم ادعيتم انها الآلهة وقد اقررتم انها لا تنفع فأقراركم يكذب دعواكم.

وقال فى قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) قال فهذا يدل على فضل هداية الخلق بالعلم ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع فأن النبي ﷺ كالطبيب والطبيب يكون عند المرضى فلو انقطع عنهم هلكوا .

وسمعته يقول فى قوله تعالى (رب اوزعني ان اشكر نعمتك التى انعمت عليّ وعلى والديّ) قال هذا من تمام بر الوالدين كأن هذا الولد خاف ان يكون والداه قصرا في شكر الرب عز وجل فسأل الله ان يلهمه الشكر على ما انعم به عليه وعليهما ليقوم بما وجب عليهما من الشكر ان كان قصرا .

وسمعته يقول في قوله تعالى (وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) قال ايثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء فمن كان هكذا فهو عالم . ومن آثر العاجل فليس بعالم .

وسمعته يقول في قوله تعالى (من آله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) وفي الآية التى تليها (أفلا تبصرون) قال انما ذكر السماع عند ذكر الليل والأبصار عند ذكر النهار لأن الانسان يدرك بسمعه في الليل اكثر من ادراكه بالنهار ويرى بالنهار اكثر مما يرى بالليل قال المبرد سلطان السمع في الليل وسلطان البصر في النهار.

وسمعته يقول في قوله تعالى (اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله) قال فظللت انفكر في المناسبة بين ذكر النعمة وبين قوله [هل من خالق غير الله] فرأيت ان كل نعمة يناولها العبد فالله خالقها فقد انعم بخلقه لتلك النعمة وبسوقها الى المنعم عليه . وسمعته يقول في قوله تعالى (انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى) قال المعنى ان يكون قيامكم خالصاً لله عز وجل لا لغلبة خصومكم فحينئذ تفوزون بالهدى . وسمعته يقول في قوله تعالى (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) وفي الآية الأخرى (وجاء رجل من اقصى المدينة) فرأيت الفائدة في تقديم ذكر الرجل وتأخيره ان ذكر الأوصاف قبل ذكر الموصوف ابلغ في المدح من تقديم ذكره على وصفه فأن الناس يقولون الرئيس الأجل فلان فنظرت فأذا الذي زيد في مدحه وهو صاحب يس امر بالمعروف واعان الرسل وصبر على القتل والآخر انما حذر موسى من القتل فسلم موسى بقبول مشورته فالأول هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والثاني هو ناصح الآمر بالمعروف فاستحق الأول الزيادة ثم تأملت ذكر اقصى المدينة فأذا الرجلان جاءا من بعدٍ في الأمر بالمعروف ولم يتقاعدا لبعد الطريق .

وسمعته يقول في قوله تعالى (ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) قال المعنى ياليتهم يعلمون بأي شيء وقع غفرانه والمعنى انه غفر لي بشيء يسير فعلته لا بأمر عظيم.

وسمعته يقول في قوله تعالى (ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع) قال ربما توهم جاهل انهم لم يجابوا عما سألوا وليس كذلك فأن الذي سألوا لا يصلح ان يكون دليلا على البعث لأنهم لو اجيبوا الى ما سألوا لم يكن ذلك حجة على من تقدم ولا على من تأخر ولم يزد على ان يكون لمن تقدم وعدا ولمن تأخر خبرا.

اللهم الا ان يجيء لكل واحد ابوه فتصير هذه الدار دار البعث . ثم لو جاز مثل وقوع هذه كان احياء ملك يضرب به الأمثال اولي كتبع لا انتم يا اهل مكة فانكم لا تعرفون في بقاع الارض .

وسمعته يقول فى قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) قال علمت الملائكة ان الله عز وجل يحب عباده المؤمنين فتقربوا اليه بالشفاعة فيهم واحسن القرب ان يسأل المحب اكرام حبيبه فانك لو سالت شخصاً ان يزيد في اكرام ولده لارتفعت عنده حيث تحثه على اكرام محبوبه .

وسمعته يقول في قوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاما) (ولو نشاء جعلناه اجاجا) قال تأملت دخول اللام وخروجها فرأيت المعني ان اللام تقع للأستقبال تقول لأضربنك اي فيما بعد لا فى الحال والمعنى (افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما) اي في مستقبل الزمان اذا تم فاستحصد وذلك اشد للعذاب لأنها حالة انتهاء تعب الزراع واجتماع الذين عليه لرجاء القضاء بعد الحصاد مع فراغ البيوت من الافوات واما في الماء فقال لو نشاء جعلناه اجاجا اي الآن لأنا لو أخرنا ذلك لشرب العطشان وادخر منه الانسان .

وسمعته يقول في قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) قال المعنى لا تبتلينا بأمر يوجب افتتان الكفار بنا فانه اذا خذل المتقى ونصر العاصى فتن الكافر وقال لو كان مذهب هذا صحيحاً ما غلب .

قال وسمعته يقول في قوله عليه السلام اذا دخل رمضان سلسلت الشياطين قال ان الشياطين للعاصى في غير رمضان كالمكاز يقول سولى وغرني فاذا سلسل الشيطان قل عذر العاصي .

وسمعته يقول في حديث عائشة كان اكثر صوم رسول الله ﷺ في شعبان

قال ما ارى هذا الا على وجه الرياضة لأن الانسان اذا هجم بنفسه على امر لم يتعوده صعب عليه فدرج نفسه بالصوم فى شعبان لأجل رمضان .

وسمعته يقول فى قوله عليه السلام [اعوذ بك من شر ما لم اعمل] قال له معنيان احدهما ان الانسان يبلغه ان الرجل قد عمل الشر فيرضى به او يتمنى ان يعمل مثله فهذا شر ما لم يعمل . والثاني ان الرجل قد لا يشرب الخمر فيعجب بنفسه كيف لا يشرب فيكون العجب بترك الذنب شر ما لم يعمل .

وذكر صاحب سيرة الوزير قال سمعته يقول فى قوله تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي) في حمل العصا عظة لأنها من شيء قد كان ناميا فقطع فكلما رآها حاملها يذكر الموت قال ومن هذا قيل لابن سيرين رحمه الله رجل رأى فى المنام انه يضرب بطبل فقال هذه موعظة لأن الطبل من خشب قد كان ناميا فقطع من أغشية كانت جلود حيوان فذبح وهذا اثر الموعظة .

وسمعته يقول في قوله تعالى (فى قلوبهم مرض) الآية قال المريض يجد الطعوم على خلاف ما هي عليه فيرى الحامض حلوا والحلو مرا . وكذلك هؤلاء يرون الحق باطلا والباطل حقا [١] .

قال وسمعت الوزير يقول وقد قرئ عنده ان رجلا قال عند رسول الله ﷺ الحمد لله حمداً كثيراً طيبا مباركاً فيه فقال رسول الله ﷺ ايكم قال ذلك فقال الرجل انا يارسول الله ولم ارد بذلك الا الخير فقال ﷺ رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها فطفقت والجماعة عندي افكر في معني تخصيص هذا العدد من الملائكة فنظرت فأذا حروف هذه الكلمات بضم وثلاثون حرفا اذا فككت المشدد

(١) هنا في ترجمته التي في المنهج الأوحد زيادة وهي وكان يقول في قوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها) انه على التقديم والتأخير اي جعلنا مجرميها اكابرهم .

ورأيت انه من عظم ما قد ازدحمت الملائكة عليها بلغوا الى فك المشدد فلم يحصل لكل ملك سوى حرف واحد فصعد به يتقرب بحمله.

وسمعته يقول في قوله عليه السلام وجدت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فتدبرت هذا الحصر فاذا الفائدة ان الحسنة بعشر امثالها فدرهم الصدقة لا يعود فيكتب به عشر مع ذهابه فيكون الحاصل به على الحقيقة تسعة والقرض يضاعف على الصدقة فيصير ثمانية عشر لان تسعة وتسعة ثمانية عشر.

والسبب فى مضاعفته ان الصدقة قد تقع فى يد غير محتاج والقرض لا يقع الا في يد محتاج.

وسمعته يقول في قوله عليه السلام اذا شربتم فاسألوا به قال هذا في الشراب خاصة فاما الأكل فمن السنة لعق القصعة والأصابع وانما خص الشرب بذلك لأن التراب والأقذار ترشح في اسفل الأناء فاشتفاف ذلك يوجب شربا ما يؤذى.

وكذلك السر في الأمر بالتنفس فى الأناء ثلاثا لأن النفس يخرج كرب القلب وكدر البدن فكره الشارع ان يعود في الماء فيؤذي الشارب.

وسمعته يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام اول زمرة تدخل الجنة من امتي وجوههم كالقمر ليلة البدر قال انما لم يقل كالشمس لأن نور الشمس يؤثر في عيون الناظرين اليها فلا يتمكنون من النظر. والجنة دار لذة وطيب عيش فلو اشبهت وجوههم نور الشمس لم يتمكن احد منهم ان ينظر الآخر.

ومن كلامه في السنة

قال ابو الفرج ابن الجوزي سمعت الوزير يقول تأويل الصفات اقرب الى الخطر من اثباتها على وجه التشبيه فأن ذلك كفر وهذا غايته البدعة.

قال وسمعته ينشد لنفسه.

(لا اقول عند آية التشبيه المراسخين غير آمنا به)

قال وسمعته يقول ما انزل الله آية الا والعلماء قد فسروها لكنه يكون للآية وجوه محتملات فلا يعلم ما المراد من تلك الوجوه المحتملات الا الله عز وجل.

قال وسمعته يقول في قوله تعالى [ان هذا الا قول البشر] قال العرب لا تعرف ذا ولا هذا الا في الأشارة الى الحاضر وانما اشار هذا القائل الى هذا المسموع فمن قال ان المسموع عبارة عن القديم فقد قال هذا قول البشر .

قال مصنف سيرته كثيرا ما سمعته يقول ليس مذهب احمد الا الأتباع فقط فما قاله السلف قاله وما سكتوا عنه سكت عنه فأنه كان ينكر ان يقال لفظي بالقرآن مخلوق او غير مخلوق لأنه لم يُقل .

وكان يقول في آيات الصفات تمر كما جاءت قال وسمعته يقول تفكرت في اخبار الصفات فرأيت الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها مع قوة علمهم فنظرت السبب في سكوتهم فاذا هو قوة الهيبة للموصوف ولأن تفسيرها لا يتأتى الا بضرب الأمثال لله وقد قال عز وجل [فلا تضربوا لله الأمثال] .

قال وكان يقول لا يفسر على الحقيقة ولا على المجاز لأن حملها على الحقيقة تشبيه وعلى المجاز بدعة .

قال وسمعته يقول والله ما نترك امير المؤمنين علي بن ابي طالب مع الرافضة نحن احق به لأنه منا ونحن منه ولا نترك الشافعي مع الأشعرية فأنا احق به منهم.

قال وسمعته يقول من مكايد الشيطان تنفيره عباد الله عن تدبر القرآن اعلمه ان الهدى واقع عند التدبر فيقول هذه مخاطرة حتى يقول الأنسان انا لا اتكلم في القرآن تورعا ومنها ان يخرج جوالب الفتن مخرج التشدد في الدين ومنها ان يقيم اوثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل ان يلين الحق فيقول ليس هذا مذهبنا تقليد المعظم عنده قدمه على الحق .

قال وسمعته يقول لبعض الناس لا يحل والله ان تحسن الظن بمن يرفض ولا بمن يخالف الشرع في حال .

كلامه في الفنون

ومن كلامه في فنون قال ابن الجوزي وسمعته يقول يحصل العلم بثلاثة اشياء احدها العمل به فان من كلف نفسه التكلم بالمربية دعاه ذلك الى حفظ النحو ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم . والثاني التعليم فانه اذا علم الناس كان ادعى الى تعلمه . والثالث التصنيف فانه يخرج الى البحث ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه .

قال وسمعته يقول الحكمة في اختصاص المرأة بالحيض انها تحمل الولد والولد مفتقر الى الغذاء فلو شاركها في غذائها لضعف قواها ولكن جعلت له فضلة من فضلاتها ان حملت فهي قوته وان لم تحمل اندفعت فاذا ولدت توفرت تلك الفضلة على اللبن .

قال وسمعته يقول لبعض من يأمر بالمعروف اجتهد ان تستر المصاة فان ظهور معاصيهم عيب في اهل الاسلام واولى الامور ستر العيوب .

وسمعته يقول الأيام قد ذهبت والأعمار قد ذهبت والنفوس باتباع الهوى قد انتهبت وما يطلب منها شيء من الخير الا ابت وبيوت التقوى من القلوب قد خربت .

وسمعته يقول نظر العامل الى عمله بعين الثقة به في باب النجاة اضر على العباد من تفريطهم . وقال لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة الشهيد ولولا اهل المعاصي ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف . ولو كان المجرمون ضعفاء لقهروا فلم يحصل ذلك المعنى .

وكان يقول في قوله تعالى [وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها] انه على

التقديم والتأخير اي جعلنا مجرميها أكابر. وقال البحر محيط بالأرض وخلجانه تتخلل الأرض والريح تهب على الماء وتمر على الارض فيعتدل النسيم بالرطوبة ولو كان ماء البحر عذبا لأنتن لكونه واقفاً فكانت الريح اذا هبت عليه اوقعت الوباء في الخلق ولكنه جعل ملحا أجاجا ليحصل منه نفع الرطوبة ولا يقع به فساد. قال وسمعته يقول احذروا مصارع العقول عند التهاب الشهوات.

قال وسمعته يقول العجب ممن يخاصم الاقدار ولا يخاصم نفسه فيقول قضي عليّ وعاقبني ويحك قل لنا كيف تحب ان يكون الأمر تختار ان تخلق اعمى ولا تنظر الى المستحسن قال لا قلنا اتحب ان تخلق معدوم الحس قال لا قلنا اتحب ان ترد عن المعاصي قهرا قال لا قلنا افتؤثر ان تطلق فيها من غير حجر فلا تغضب ان اطلق غيرك في اخواتك وبناتك وأما ان تغضب لذلك الفعل من غيرك في حرمك وتختار ان تفعله في حرم غيرك فهذا في غاية الجور فأذا جعل لك الطريق الى مرادك بكلمة هي عقد النكاح او عوضت عما منعت عنه من جنسه ووعدت الأجر على الصبر فهذا غاية العدل فأن زلت في معصية فقد جعل لك طريق نجاة بالتوبة.

قال مصنف سيرة الوزير سمعته يقول قفلت في صحبة امير المؤمنين المقتفي من الكوفة بعد وداع الحاج فشاهدنا في الطريق بردا كبارا قد وقع امامنا وكان الجماعة يأكلون منه فلم استطبه على الريق فلما نزلنا الخيام وامسينا وحضر العشاء وا كلنا الطعام ذكرت ذلك البرد ووددت ان لو كان الآن منه شيء وأظن انى دعوت الله عز وجل ان يأتينا منه بشيء فما كان الا لحظة والسحاب يهمي واذا البرد فيه كثير وشرع الغلمان وجمعوا منه شيئاً كثيراً وجاؤا به فأكلت منه حتي تركته وحمدت الله عز وجل على اجابة الدعاء واعطائه لما خطر بالنفس.

قال وسمعته يقول كنت جالساً في سطح اصلي على النبي ﷺ وعيناي مغمضتان فرأيت كاتبا يكتب في قرطاس ابيض بمداد اسود ما اذكره وكلما قلت اللهم صل على محمد كتب الكاتب اللهم صل على محمد فقلت بنفسي افتح عينك وانظر بها ففتحت عيني فخطف عن يميني حتى رأيت بياض ثوبه وهو شديد البياض فيه صقالة .

قال وسمعته يقول مرضت مرة مرضاً شديداً انتهى فيّ الأمر فيه الى مقام رفعت فيه الى ارض ذات ظل ممدود ورملة دمثة وهو اطيب مستلذ وبجانب تلك الرملة ماء على نحو دجلة لا اجراف له وانا اناجي في سري بما اراه من الله عز وجل ومنه عتاب لي على نظري الى الخلق وعملي لهم ونحو هذا فشرعت في الانكار لذلك فأعدم جميع من في الأرض بحيث لم يبق عندي انه بقي في الأرض غيري فاستوحشت حينئذ من الحياة ووددت الموت كل الوداد حتى كنت اقول لو كان الشرع يبيح قتل النفس كان شيئاً طيباً ثم عرضت عليّ اعمال الخير كلها فلم تخف عليّ كما كانت تخفى عليّ فوقر حينئذ في نفسي انك انما تريد الحياة معهم واعمال الخير ليبلغهم ونحو هذا فاعترفت حينئذ بما كنت قد ناكرت عليه ثم توجيت ايضا بما معناه انك قد تخاف من الأشياء وان دواء ذلك كله ان تدخل في المخوف منه بالأيمان بأن كل مخلوق لا يقدر الا على ما يقدره الله عز وجل عليه لوقته ونحو هذا.

قال وسمعته يقول اتباع السنة سبب لكل خير فأني صليت الفريضة يوماً في مسجدنا ثم قلت يستحب ان نصلي السنة في غير موضع الفرض ومضيت الى البيت فصليتها ثم اشتاق قلبي الى رؤية الله عز وجل فقلت اللهم ارني نفسك فنمت تلك الليلة فرأيته عز وجل وانشد هذه الأبيات قال وكان ابن سمعون كثيرا ما ينشدها.

ركبت بحار الحب جهلاً بقدرها ☆ وتلك بحار لا يقفى غريقها

وسرنا على ريح تدل عليكم ☆ فبانت قليلا ثم غاب طريقها
اليكم بكم ارجو النجاة وما ارى ☆ لنفسي منها سائغا فيسوقها

وذكر الوزير في كتابه الأفصاح قال الصحيح عندى ان ليلة القدر تنتقل فى افراد العشر فأنه حدثنى من اثق به انه رآها في ليلة سبع وعشرين .

وحدثني امير المؤمنين المقتفي لأمر الله انه رآها واما انا فأنى كنت في ليلة احدى وعشرين وكانت ليلة جمعة فواصلت انتظارها بذكر الله عز وجل ولم انم تلك الليلة فلما كان وقت السحر وانا قائم على قدمي رأيت في السماء بابا مفتوحا مربعا عن يمين القبلة قدرت انه على حجرة رسول الله ﷺ فبقي على حاله وانا انظر اليه نحو قراءة مائة آية ولم يزل حتى التفت عن يسارى الى المشرق لأنظر هل طلع الفجر فرأيت اول الفجر فالتفت الى ذلك الباب فرأيته قد ذهب فكان ذلك مما صدق عندى ما رأيت فالظاهر من ذلك تنقلها فى ليالى الأفراد فى العشر فأذا اتفقت ليالى الجمع في الأفراد فأجدر واخلق بكونها فيها .

وكتاب الأفصاح فيه فوائد جليلة غريبة .

وقال فيه الخضر الذى لقيه موسى عليه السلام قيل كان ملكا وقيل كان بشرا وهو الصحيح ثم قيل انه عبد صالح ليس بنبي وقيل بل نبي وهو الصحيح .

والصحيح عندنا انه حي وانه يجوز ان يقف على باب احدنا مستعطيا او غير ذلك لما حدثنى محمد بن يحي الزبيدي وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر والأجتماع به .

وقال في حديث عمران بن حصين وقول النبي ﷺ لقد علمت ان بعضكم خالجنيها فيه دليل على انه لا يقرأ المأموم خلف الأمام قال وهذا محمول عندى على غير الفاتحة .

وقال الحبس غير مشروع الا فى مواضع احدها اذا سرق فقطعت يمينه ثم سرق فقطعت رجله ثم سرق حبس ولم يقطع فى احدى الروايتين الثاني امسك رجل

رجلا لآخر فقتله حبس الممسك حتي يموت في احدى الروايتين ايضا الثالث ما يراه الامام كفا لفساد مفسد كقوله تعالى (وآخرين مقرنين في الأصفاد) وما يراه ابو حنيفة في قطاع الطريق فأنه يحبسهم حتى يتوبوا فأما الحبس على الدين فمن الأمور المحدثة واول من حبس فيه شريح القاضي ومضت السنة في عهد رسول الله ﷺ وابي بكر وعمر وعثمان انه لا يحبس علي الدين ولكن يتلازم الخصمان فأما الحبس الذي هو الآن فأني لا اعرف انه يجوز عند احد من المسلمين وذلك انه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة ويتأذون بذلك بحره وبرده فهذا كله محدث ولقد حرصت مرارا على فكه فحال دونه ما قد اعتاده الناس منه وانا في ازالته حريص والله الموفق .

وقال في حديث الزبير في شراج الحرة (١) فيه جواز ان يكون السقي الاول ثم الذي بعده الا ان هذا في النخل خاصة وما يجري مجراه واما الزرع وما لا يصبر على العطش اكثر من جمعة ونحو ذلك فأن الماء يتناصف فيه بالسوية كما قال تعالى (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) وقال في سورة الضحى لما توالى فيها قسمان وجوابان مثبتان وجوابان نافيان والقسمان (والضحى والليل اذا سجى) والجوابان النافيان (ما ودعك ربك وما قلى) والجوابان المثبتان (والآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) ثم قرر بنعم ثلاث واتبعهن بوصايا ثلاث كل واحدة من الوصايا شكر النعمة التي قوبلت بها فاحداهن (لم يجدك يتيما فآوى) وجوابها (فأما اليتيم فلا تقهر) والثانية (ووجدك ضالا فهدى) فقابلها بقوله (واما السائل فلا تنهر) وهذا لأن السائل ضال يبغي الهدى والثالثة (ووجدك عائلا فأغنى) فقابلها بقوله (واما بنعمة ربك

(١) في النهاية الشرجة مسيل الماء من الحرة الى السهل والشراج جمعها ومنه حديث الزبير اه ن

فحدث) وانما قال (وما قلى) ولم يقل وما قلاك لأن القلى بغض بعد حب وذلك لا يجوز على الله تعالى والمعنى وما قلى احدا قط . ثم قال (وللآخرة خير لك من الأولى) ولم يقل خير على الاطلاق وانما المعنى خير لك ولمن آمن بك وقوله فآوى ولم يقل فآواك لأنه اراد آوى بك الى يوم القيمة .

وقال اما كون صوم يوم عرفة بسنتين ففيه وجهان احدهما لما كان يوم عرفة في شهر حرام بين شهرين حرامين كفر سنة قباله وسنة بعده والثاني انما كان لهذه الامة وقد وعدت في العمل بأجرين كما قال تعالى (يؤتكم كفلين من رحمته) اما عاشوراء فقد كانت الأمم من قبل هذه الأمة تصومه ففضل ما خصت به هذه الامة وانما كفر عاشوراء السنة الماضية لأنه تيمها وجاء بعدها والتكفير بالصوم انما يكون لما مضى لا لما يأتي فأما يوم عرفة فانه التي قد مضى اكثرها ويزيد لموضع فضله بتكفير ما يأتي .

وقال في حديث تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ لما كانت صلاة الفذ مفردة اشبهت العدد المفرد فلما جمعت مع غيرها اشبهت ضرب العدد و كانت خمسا فضربت في خمس فصارت خمسا وعشرين وهي غاية ما يرتفع اليه ضرب الشيء في نفسه فأما رواية سبع وعشرين فأن صلاة المنفرد وصلاة الامام ادخلتا مع المضاعفة في الحساب وقد ذكر الوزير في كلامه على شرح حديث [من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين] وهو الكتاب الذي افرد من كتابه الافصاح فوائد غريبة فذكر في اول كلامه ان اختصاص المساجد ببعض ارباب المذاهب بدعة محدثة فلا يقال هذه مساجد اصحاب احمد فيمنع منها اصحاب الشافعي ولا بالعكس قال هذا من البدع .

وقد قال تعالى في المسجد الحرام سواء العاكف فيه والبادي وهو افضل المساجد واما المدارس فلم يقل فيها ذلك بل قال لا ينبغي ان يضيق في الاشتراط على

المسلمين فأن المسلمين اخوة وهي مساكن تبنى لله تعالى فأني امتنعت من دخول مدرسة شرط فيها شروط ولم اجدها عندي ولعلي امتنعت بذلك ان اسأل عن مسألة احتاج اليها او افيد او استفيد.

وحكى فى مسائل الخلاف رواية عن احمد انه لا يشترط المسح على العمامة ولا لحوائل الرأس خاصة لبسها على طهارة وهذه غريبة جدا لم اعلم احدا من الأصحاب حكاها غيره. واختار فيه استحباب الجمع بين الأستفتاح بوجهت وجهي وسبحانك اللهم وبحمدك. واختار انه يستحب ان يزاد في التشهد الأول اللهم صل على محمد واختار استحباب التكبير ثلاثا في اول تكبير العيدين وايام التشريق. وذكر ان الفصاد يفطر الصائم كالحجامة وانه مذهب احمد.

وكان الوزير رحمه الله تعالى اديبا بارعا فصيحا مفوها وقد اورد له مصنف سيرته من رسائله الى الخلفاء والملوك والكتب التي انشأها بافصح العبارات واجزل الألفاظ ما لا يتسع هذا المكان لذكره. وله شعر كثير حسن في الزهد وغيره فمما أنشده ابن الجوزى عنه:

يا ايها الناس اني ناصح لكم ☆ فعوا كلامي فأني ذو تجاريب
لا تلهينكم الدنيا بزهرتها ☆ فما تدوم على حسن ولا طيب

﴿ قال وأنشدنا لنفسه ﴾

يلذ بهذا العيش من ليس يعقل ☆ ويزهد فيه الألمعيّ المحصل
وما عجب نفس ان ترى الرأي انما ☆ العجيبة نفس مقتضى الرأي تفعل
الى الله اشكو همة دنيوية ☆ ترى النص الا انها تتأول
ينهنهها موت النبيه فترعوي ☆ وتخدعها روح الحياة فتغفل
وفي كل جزء ينقضي من زمانها ☆ من الجسم جزؤ مثله يتحلل

فنفس الفتى في سهوها وهي تنقضي ☆ وجسم الفتى في شغله وهو يعمل

﴿ قال وانشدنا لنفسه ﴾

والوقت انفس ما عنيت بحفظه ☆ واراه اسهل ما عليك يضيع

﴿ قال وانشدنا لنفسه ﴾

الحمد لله هذا العين لا الأثر ☆ فما الذي باتباع الحق تنتظر

وقت يفرت واشغال مهوقة ☆ وضعف عزم ودار شأنها الغير

والناس ركضا الى مهوى مصارعهم ☆ وليس عندهم من ركضهم خبر

تسعى بها خادعات من سلامتهم ☆ فيلهون الى المهوى وما شعروا

والجهل اصل فساد الناس كلهم ☆ والجهل اصل عليه يخلق البشر

وانما العلم عن ذي الرشد يطرحه (هكذا) كما عن الطفل يوما تطرح السرر

واصعب الداء داء لا يحس به ☆ كالدف يضعف حسا وهو يستعر

وانما لم يحس المرء موقعها ☆ لأن اجزاءها قد عمها الضرر

وقال صاحب سيرته سمعته يقول لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا فأن الأنسان لما افتقر احتال فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والحطب وغير ذلك فانتفع بذلك المقيم فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لأفتقروا ولكنهم لما افتقروا تم الغنا.

قال وأنشدنا لنفسه في المعنى وقد انشدها ابن الجوزي عنه ايضا :

جسوم لا يلائمها البقاء ☆ وأجزاء يحللها الشواء

وكون الشيء لا ينفك يفنى ☆ بذلك ان غايته الفناء

نكب على التكاثر وهو فقر ☆ وتعجبنا السلامة وهي داء

ونجزع للشدائد وهي نصح ☆ وتغرينا وقد عز الرجاء

تمادي الناس فاتفقوا اضطرارا ☆ وقد يرجى من الداء الدواء

وعم الفقر فاستغنوا ولولا ✡ عموم الفقر ما عم الفناء

﴿ وأنشدنا لنفسه ﴾

يلذ بذى الدنيا الغبي ويطرب ✡ ويزهد فيها الألمعيّ المجرب
وما عرف الأيام والناس عاقل ✡ ووفق الا كان فى اليوم يرغب
الى الله اشكو همة لعبت بها ✡ اباطيل آمال تفر وتخلب
فوا عجبا من عاقل يعرف الدنا ✡ فيصبح فيها بعد ذلك يرغب

﴿ قال وأنشدنا لنفسه مما قاله قديما ﴾

كل من جاء بدين غريب ✡ غير دين الاسلام فهو كذوب
واذا عالم تكلف فى القول ✡ بلا سنة فذاك المريب

﴿ قال وأنشدنا لنفسه ﴾

ما لنا قط غير ما شرع الله ✡ به يعبد الاله الكريم
فتمسك بالشرع واعلم بأن الحق فيه وا سواه سموم

﴿ ومما يذكر من شعر الوزير رحمه الله ﴾

تمسك بتقوى الله فالمرء لا يبقي ✡ وكل امرئ ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس ما فى يديهم ✡ ولا تذكرن افكاً ولا تحسدن خلقا
تعود فعال الخير جهدك فكلما ✡ تعوده الأنسان صار له خلقا

وذكر ياقوت الحموي فى كتابه معجم الأدباء بأسناد له ان الوزير عرضت عليه جارية فائقة الحسن وظهر له في المجلس من ادبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما اعجبه فأمر فاشتريت له بمائة وخمسين دينارا وامر ان يهيأ لها منزل وجارية وان يحمل لها من الفراش والآنية والثياب وجميع ما تحتاج اليه ثم بعد ثلاثة ايام جاءه الذي باعها وشكى له الم فراقها فضحك وقال لعلك تريد ارتجاع الجارية

قال اي والله يا مولانا وهذا الثمن بحاله لم اتصرف فيه وابرزه فقال الوزير ولا نحن تصرفنا في الثمن ثم قال لخادمه بمن ادفع اليه الجارية وماعليها وجميع مافي حجرتها ودفع اليه الخرقة التي فيها الثمن وقال استعينا به على شأنكما فأكثر من الدعاء وأخذها وخرج . وحكى عن الوزير انه كان اذا مد السماط فأكثر ما يحضره الفقراء والعميان فلما كان ذات يوم واكل الناس وخرجوا بقي رجل ضرير يبكي ويقول سرقوا مداسي ومالي غيره والله ما اقدر على ثمن مداس ومابي الا ان امشي حافيا واصلي فقام الوزير من مجلسه ولبس مداسه وجاء الى الضرير فوقف عنده وخلع مداسه والضرير لا يعرفه وقال البس هذا وابصره على قدر رجلك فلبسه وقال نعم لا آله الا الله كأنه مداسي ومضى الضرير قال ورجع الوزير الى مجلسه وهو يقول سلمت منه ان يقول انت سرقته. واخبار الوزير رحمه الله ومناقبه كثيرة جدا وقد مدحه الشعراء فأكثروا وقيل انه رزق من الشعر ما لم يرزقه احد ومن اكابرهم الحيص بيص وابن بخنيار الأبله وابن التعاويذي والعماد الكاتب وابو علي بن ابي فيراط ومنصور النميري وخلق كثير حتى انه جمعت من مدائحه ما يزيد على مائتي الف قصيدة في مجلدات فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الأعداء فغسلها ومن قول الحيص بيص في مدحه رحمه الله :

يفل غرب الوزايا وهي باسلة ✡ ويوسع الجار نصرا وهو مخذول
ويشهد القول بساماً وقد دمعت ✡ شوس العيون بدم العوم احفيل
ويتقى مثل ما ترجى فواضله ✡ وجوده فهو مرهوب ومأمول
عار من العار كاس من مناقبه ✡ كأنه مرهف الخدين مسلول
سهل المكارم صعب في حفيظته ✡ فبأسه والندى مر ومعسول
قالى الدنايا وصيوان العلى كلف ✡ فالعار والمجد مقطوع وموصول

الملك يحي لدى قول ومعترك ✡ اذا تشابه مقطوع ومعلول
مد الأسنة والأقوال ماضية ✡ فالخير والقرب مطرود ومفصول
جواد مجد له في غرة شبه ✡ وفيه من واضح العلياء تحجيل
يصيد وحش المعالي وهي نافرة ✡ كأن مسعاه للعلياء احبول

ومما انشده ابو الفتح ابن الأديب في اول يوم جلس فيه الوزير وقرئ عهده:

اذا قلت ليث فهو امضى عزيمة ✡ وان قلت غيث فهو اندى وأجود
من القوم ما ابقوا سوى حسن ذكره ✡ وما عمروه بالجميل وشيدوا
وصية موروث الى خير وارث ✡ اذا سيد منهم خلا قام سيد
يجيبهم يحي وما غاب غائب ✡ اليه احاديث المكارم تسند
مناقب يحصي دونها عدد الحصى ✡ بها يغبط الحر الكريم ويحسد
ليهن امير المؤمنين اعتضاده ✡ برأيك والآراء تهدى وترشد
هو المقتفى امر الآله وانه ✡ ليصدر عن امر الآله ويورد
تمنى وزيرا صالحا يكتفي به ✡ وافكاره في مثلها تتردد
دعا زكريا ربه النبي كما دعا ✡ امام الهدى والأمر بالأمر يعضد
فخص بيحي مثل ما خص بعده ✡ بيحي امير المؤمنين محمد

ومن قصيدة لابن علي ابن الفلاس الشاعر اولها:

الحب يهجر والطيوف تزور ✡ وكأنما اصل الصبابة زور
طلت الملوك وقصروا عن غاية ✡ ما نالها كسرى ولا سابور
وعدلت حتى لم تدع من ظالم ✡ يده على المستضعفين تجور
فالأرض مشرقة بعدلك والندى ✡ وصباح عدلك ما له دجور
قد روضت بالمكرمات كأنما ✡ كل البلاد خورنق وسدير

ولمنصور النميري (١)

اعلقت من بحي رجائي بمن ☆ يحكم الامساك في وفره
وكان عون الدين اجرى الورى ☆ ينصره الحر على دهره
وزير صدق عم احسانه ☆ فأجمع الناس على شكره
أبهة الملك على وجهه ☆ وخشيه الرحمن في سره
ترى على الغيب يدي كفه ☆ ونائل المرء على قدره

قال ابن الجوزي كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ويندم على ما دخل فيه ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة ويتعرض بأسبابها. وكان الوزير ليس به قلبة في يوم السبت ثاني عشر جمادي الأولى سنة ستين وخمسمائة ونام ليلة الأحد في عافية فلما كان وقت السحر قام فحضر طبيب كان يخدمه فسقاه شيئا فيقال انه سمه فمات وسقى الطبيب بعده بنحو ستة اشهر سما فكان يقول سقيت كما سقيت فمات .

قال وكنت في تلك الليلة رأيت في النوم مع انشقاق الفجر والوزير كأنه في داره ودخل رجل بيده حربة فضربه بها فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط ورأيت هناك خاتما من ذهب ملقى فلما استيقظت اخبرت من معي بالحديث فما استتمه حتى جاء الخبر بموت الوزير ونفذ اليّ من داره فحضرت وأمرني ولداه ان اغسله فغسلته فرفعت يده ليدخل الماء في مغابنه فسقط الخاتم من يده حيث رأيت ذلك الخاتم فتعجبت من وجهه ورأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده تدل على انه مسموم . وحملت جنازته يوم الأحد الى جامع القصر وصلي عليه ثم حمل الى مدرسته التي انشأها بباب البصرة فدفن بها وغلقت يومئذ اسواق

(١) هو من رجال ابن خلكان قال في ترجمته وكان ببغداد كثيراً الانقطاع الى الوزير عون الدين بن هبيرة

بغداد وخرج جمع لم نره لمخلوق قط في الأسواق وعلى السطوح وشاطئ دجلة وكثر البكاء عليه لما كان يفعله من البر ويظهره من العدل .

وذكر مصنف سيرته انه كان ثار به بلغم وهو في قصره بالخالص ثم خرج مع المستنجد للصيد فسقى مسهلا لأجل البلغم فاستأذن الخليفة في الدخول الى بغداد للتداوي فأذن له فدخل يوم الجمعة في موكب عظيم وصلى الجمعة وحضر الناس عنده يوم السبت فلما كان وقت صلاة الصبح يوم الأحد عاوده البلغم فوقع مغشيا عليه فصرخ الجواري فأفاق وسكتهن وقيل له ان استاذ الدار ابن رئيس الرؤساء قد بعث جماعة ليستعلم ماهذا الصياح فتبسم الوزير على ماهو عليه من تلك الحال وانشد متمثلا :

وكم شامت بي عند موتي جهالة ☆ يظل يسل السيف بعد وفاتي

ولو علم المسكين ما ذا يناله ☆ من الضر بعدي مات قبل مماتي

قلت (١) وكذا وقع فأن ابن البلدي الذي تولى الوزارة بعده لم يبق من الأذي ليت رئيس الرؤساء ممكنا قال ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدا فسجد فأبطأ عن القعود من السجود فحركوه فأذا هو ميت رحمه الله ورثاه جماعة من شعرائه منهم النميري بقصائد منها قوله:

الم على جدث حوى ☆ تاج الملوك وقل سلام

واعفر سويداء الضمير فليس يقنعني السوام

وتوق ان يثنى حيا ☆ دمع بعينك او ملام

ان التماسك والوقار بمن اصيب به حرام

فاذا ارتوت تلك الجنادل من دموعك والرغام (٢)

فأنم صدور اليعملات فبعد يحى لا مقام

(١) القائل ابن رجب كما ذكره صاحب المنهج الاحمد (٢) الرغام تراب لين او رمل مختلط اه .

ذهب الذي كانت تقيد ✡ في مواهبه الجسام
واذا نظرت اليه لم ✡ يخطر على قلبي الشآم
غاض الندى الفياض عن راجيه واشتد الأوام
وتفرقت تلك الجمو ✡ ع وقوضت تلك الخيام
ولقد عهدت ابا المظفـ ✡ ـر ذا عُلى لا يستضام
ثبت القعود اذا بدا ✡ ويقبل الارض القيام
ما للنفوس من الحما ✡ م اذا ألم بها اعتصام
عجبا لمن يغتر بالد ✡ نيا وليس لها دوام
عقبى مسراتها الأسـ ✡ ـي وعقيب صحتها السقام
انظر الى ابواب عو ✡ ن الدين يعلوها القتام
وكأن عون الدين لم ✡ يك الزمان به ابتسام
لله ما عدمت به الد ✡ نيا وما حوت الرجام
لاغرو ان ادمى الجفو ✡ ن لفقدك الدمع السجام
ان المكارم بعد مو ✡ تك ما لفرقتها التئام
ما مت وحدك يوم مـ ✡ ـت وانما مات الأنام
حياك رفراق النسيـ ✡ ـم وجاد مثواك الغمام
يأبى لك الأحسان ان ✡ ينساك والنديم الكرام
وببعض حقك ان حز ✡ ني فيك ليس له انصرام

﴿ وانشد بعض الشعراء يوم موته ﴾

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى ✡ ملكا ماجدا به يستهان
واذا مات من زمان كريم ✡ مثل يحيى به يموت الزمان

قال مصنف السيرة حدثني ابو حامد احمد ابن عيسى الفقيه الحنبلي الشيخ ثني الصالح ابو عبد الله بن زفر قال رأيت في المنام وانا بأرض جزيرة ابن عمر كأن جماعة من الملائكة يقولون لي قد مات في هذه الليلة ببغداد ولي من اولياء الله تعالى فاستيقظت مزعجا فحدثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معي وأرخنا تلك الليلة فلما قدمت بغداد سألت من مات في تلك الليلة فقيل لي مات بها الوزير عون الدين بن هبيرة . قال وحدثني الشيخ الصالح محمود بن البقال المقرئ الزاهد قال كنت دائما اذا ذكرت الوزير عون الدين بن هبيرة اقول اللهم هبه واستوهب له قال ومضى على ذلك الزمان فرأيت في النوم كأني قد دخلت الى مدرسته لقراءة قبره واذا هو نائم على القبر فقال يا محمود ان تعالى وهبني واستوهب لي.

وحدثني الوزير ابو شجاع محمد بن الوزير ابي منصور محمد الوزير ابي شجاع محمد قال كنت كثير الوقوع في الوزير ابن هبيرة فرأيته في المنام في بستان لم ار له في الدنيا شبيها ومعه ملك يجني له من ثماره ويترك له في فيه فهممت بدخول البستان فصاح الملك عليّ وقال هذا البستان قد وهبه الله تعالى لهذا بعد ان غفر له فلا سبيل لأحد ان يدخله الا بأذنه فاستيقظت مرعوبا وتبت الى الله عز وجل من ذكره الا بالرحمة عليه والاستغفار له .

قال وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقري قال رأيت الوزير ابن هبيرة في النوم فسألته عن حاله فأجابني بهذين البيتين .

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا ☆ بعد ما حال حالنا وحجبنا

فوجدنا مضاعفا ما كسبنا ☆ ووجدنا محصلا ما اكتسبنا

قال صاحب سيرته واستقصيت ما ذكره من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتابا ضخما وهذه الأبيات رواها ابن النجار عن ابن الدبيثي عن ابي شجاع محمد بن ابي علي المؤدب.

قال وسمعت ابا القاسم السلامي قال رأيت الوزير في النوم فذكرها .

اخبرنا ابو المعالي محمد بن عبد الرزاق بن احمد الشيباني الزاهد بقراءتي عليه ببغداد سنة تسع وأربعين وسبعمائة اخبرنا الحافظ ابو عبد الله احمد بن محمد ابن الانجب بن الكسار سماعاً انبأنا العلامة استاذ دار الخلافة ابو محمد يوسف ابن الحافظ ابي الفرج بن الجوزي انا امير المؤمنين المستعصم بالله ابو محمد عبد الله بن المستنصر بالله ابي جعفر منصور بن الظاهر بن الناصر انا ابو علي الحسين بن المبارك الزبيدي ح وأخبرناه عاليا ابو الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم المصري بها انا سفير الخلافة ابو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم انا ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ قالا انبأنا الوزير ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة قال قرأت على الامام المقتفي لأمر الله امير المؤمنين ابي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ابن المقتدي قلت له حدثكم ابو البركات احمد بن عبد الله السبي انا ابو محمد عبد الله بن محمد الصريفيني ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا اسماعيل بن العباس الوراق ثنا حفص بن عمرو الربالي انا المبارك ابن سحيم ثنا عبد العزيز بن صهيب عن انس قال قال رسول الله ﷺ لا يزداد الأمر الا شدة ولا يزداد الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس .

وفي هذا الاسناد سلسلة عجيبة بالخلفاء والملوك اه ما في طبقات ابي الفرج .

قال صاحب الكشف في الكلام على عجائب المخلوقات وصنف فيها ابو حامد محمد بن عبد الرحمن الأندلسي كتابا ذكر فيه انه سأله بعضهم ان يذكر له نسبه وبلاده وما شاهده من عجائب البلدان فأجاب قال فرأيت ان اسمي هذا المجموع المغرب عن بعض عجائب المغرب واجعله برسم خزانة مولانا الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة وان اذكر احسانه قال لما وصلت لي ببغداد سنة ٥١٦ (هكذا) ست عشرة وخمسمائة انزلني احسن دار وفأقمت ضيفه اربع سنين ولما رجعت اليها سنة ٥٥٥ خمس وخمسين وخمسمائة انزلني ايضا بأحسن مقامه واكرمني على عادته اه .

وقال في (معاهد التنصيص) في بحث التضمين في تضمين بعض الشعراء (اتسع الخرق على الراقع) ذكرت بهذا التضمين ما حكي عن الوزير عون الدين ابن هبيرة انه قال له بعض اصحابه في هزيمته التي قتل فيها يا مولانا اين ذلك التدبير وتلك السياسات فأنشد .

الثوب ان اسرع فيه البلى * اعيا على ذي الحيلة الصانع
كنا ندار يها وقد مزقت * (واتسع الخرق على الراقع)

﴿ الصحيفة الأولى من الأفصاح في نسختي المولوية والظاهرية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) اما قوله من يرد الله به خيراً فأن هذا شرط وجوابه وهما مجزومان وقد انجزم الفعلان بذلك وكان الاصل من يريد وكذلك كان الأصل يفقهه مرفوعا فانجزم لجواب الشرط فحصل بذلك ان المعنى من يرد الله به خيراً يفقهه . واقتضى هذا ان من لم يفقهه في الدين لم يكن ممن يرد الله به خيراً ولم يقل من يرد الله به الخير بالالف واللام فكان يكون الخير المعهود المعرف بالالف واللام فدل على ان هذا التنكير للخير هاهنا اوقع لانه من لم يفقهه في الدين فأنه لا يريد به خيراً من الخير .

فأما يفقهه فهذه الهاء مبدلة من الهمزة لأن اصل فقه الرجل فقيٌ فالهاء مبدلة من الهمزة ومعنى فقه الرجل غاص على استخراج معنى القول من قولهم فقأت عينه اذا بخعتها فجعلت باطنها ظاهرها فمعنى الفقه على هذا التأويل انه استخراج الغوامض والاطلاع على اسرار الكلام .

وفي هذا الحديث من الفقه ان الله سبحانه وتعالى قال (ان الدين عند الله الاسلام) ويكون المراد بالدين ههنا الاسلام بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين بالالف واللام وقال الله عز وجل (ان الدين عند الله الاسلام) .

ولما انتهى تدوين الفقه الى اربعة كل منهم عدل رضي عدالتهم الامة واخذوا عنهم لأخذهم عن الصحابة والتابعين والعلماء فكان اخذ الامة عنهم واخذهم هم عن الصحابة والتابعين واستقر ذلك وان كلا منهم مقتدي ولكل واحدة من الامة اتباع من شاء منهم فيما ذكره وهم ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم .

رأيت ان اجعل ما اذكره من اجماع مشيرا به الى اجماع هؤلاء الأربعة وما اذكره من خلاف مشيراً الى الخلاف بينهم فمن ذلك كتاب الطهارة اجمعوا الخ